مقارنة بين مناهج البحث الحديثة ومنهج المبرد في المقتضب

أ. م. د. حسام عبد علي الجمل
جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

المقدمة

لقد حاول الدارسون ومنذ اكثر من قرن العودة الى التراث والاستقاء منه وتحريك مكامنه للاستفادة من هذه المكامن لخدمة الانسانية دون تمايز وقد مضى زمن طويل على محاولات دراسة العلوم النحوية واللغوية ومنذ بداية القرن العشرين اخذت المحاولات الجادة لدراسة الأرث الانساني تأخذ مكانها في جادة الحضارة الانسانية لتقديم كنوز العلم المختلفة التي طوتها يد الزمان وحاولت طمرها موجات الغزو المختلفة في كل بقعة من بقاع الوطن العربي لذلك برزت الحاجة الى البحث الجدي والموضوعي في كل مواد العلم وخصوصاً الدرس النحوي والدرس اللغوي والتقدم في ذلك رهن بالمنهج والطريقة فإن غاب المنهج خضع البحث للعشوائية واضحت المعرفة غير علمية وما انتكست مسيرة البحث العلمي الا بسبب النقص في تطبيع المناهج العلمية : لِتَخَلّف ادوات تلك المناهج عن قياس الظواهر التي يتطلب الخوض فيها، ولايختلف الناس عالمهم أو انسانهم العادي عندما يسلكان طرقاً لتحصيل المعرفة الا في ان الاول يتبع برنامجاً محدداً يؤدي الى الكشف عن الحقيقة مستعيناً بمجموعة قواعد تهيمن على سيرالعقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة ، ويعمل الثاني بعشوائية وضبابية تكون النتائج فيها غير دقيقة قد تخطأ وقد تصيب . تضمن البحث مقدمة مع نبذة مختصرة عن حياة المبرد مع ثلاثة مباحث وخاتمة جاء في المبحث الاول موازنة بين العلم والمعرفة مع شرح للتفكير العلمي وخصائصه وجاء في المبحث الثاني شرح خصائص البحث وتضمن الثالث الحديث عن منهجية البحث بشكل عام ومنهجية البحث في المقتضب بشكل خاص .

نبذة مختصرة جداً عن حياة المبرد

نظراً لحاجة المطلع على هذه المقارنة الى التعرف على مقدار اقتراب المبرد وابتعاده عن الواقع المنهجي الحالي اذكر فيما يأتي نبذة مختصرة جداً عن حياة المبرد تتطلبها ضرورة تعرف القاريء العام وليس الخاص على حياة المبرد لقياس درجة اقتراب المبرد من اساليب المنهج الحديث ودرجة تطورها .

وابو العباس ؛ هو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن عمير بن حسان بن سليم بن سعد بن عبد الله بن يزيد (او زيد) بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن اسلم وهو ثمالة بن احجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد بن الغوث ، وكان المبرد من السورحيين بالبصرة وهو من يكسر الارضين وان اكثر المؤرخين على انه ولد سنة 210هـ ذهب بعضهم الى أنه ولد سنة 207 ، واكثر المؤرخين على انه توفي سنة 285 هـ فيآخرها وقيل سنة 286 ، وانفرد ابو الطيب في مراتب النحويين بأنه قال : توفي سنة 282 هـ . نشأ بالبصرة وسافر الى سامراء لحل مسألة في قراءة آية قرآنية هي الآية الكريمة من قوله تعالى : [**وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**] الأنعام: ١٠٩ والجدل كان حول فتح وكسر همزة ان في الاية الكريمة [1] وقد دار هذا الجدل بين المتوكل والفتح بن خاقان ، كان ذلك بسبب شهرة المبرد في الجدل والمناقشة ، اما أسلوبه العلمي فتشيع فيه العبارة المبسوطة والبيان الواضح ، وقد ولع بالاكثار من المترادفات ، لقد كان موقفه من لغات العرب متراوحاً بين الحياد والانحياز ، وكانت للمبرد رغبةٌ ملحة في ان تجري المسائل على نظام مستقيم ، وقياس مطرد ، فدفعه ذلك الى ان ينكر بعض الروايات التي تخالف القياس العام .

ان ابا العباس زعيم من زعماء البصرة حمل لواء النحو البصري في وقته ، ودافع عنه ولم يصرح بإسم الكوفيين في المقتضب الا في موضع واحد في اعراب الاسماء الستة جـ2ص146، وكان يكني عنهم بقومٍ من النحويين ، او ببعض النحويين من غير البصريين ، اوأن يقول : فإن زعم زاعم ، والمعروف عن كلمة زعم عند العرب انها لاتأتي الا مع الكلام المشكوك في صحته ، ثم يأخذ في تضعيف أقوالهم وردها .[2]

المبحث الأول: بين العلم والمعرفة

أ- ما العلم

ان كلمة العلم تشتق من الكلمة اللاتينية (Scire) التي تعني يعرف ، لذلك فالعلم بالمفهوم العام كلمة فضفاضة تعني كل انواع المعارف في مختلف حياة الانسان وفي كل العلوم الصرفة والانسانية والعلم بمضمونه هذا وان كان مرادفاً لكل المعارف الا انه يتميز عنها بكونه مجموعة من المعارف التي تتصف بالوحدة والتعميم ولايشترط في ان يكون كل علم معرفة وان تكون كل معرفة علماً .[3] واذا كان تعريف العلم مبسطاً نسبياً فالاكثر صعوبة هو تصنيف العلوم ، والتمييز بينها ، وحين يجعل هذا البحث منهجية احد البحوث مادة له ، لا يعفي نفسه من التساؤلات والمساءلات (الأبستمولوجية) وما ارتبط منها بفلسفة العلوم واخصها ما يسوغ جعل الدراسات الانسانية والاجتماعية علماً على وزن علوم الطبيعة المختلفة كالطب والهندسة والفيزياء والرياضيات والكيمياء ...الخ ما يسوغ جعلهما علمين ، وليس علماً واحداً ، فما الذي يميزهما في النهاية مادة ومناهجاً ؟

فالعلوم الانسانية كما هو عنوانها هي التي اتخذت الانسان وحاجاته وحياته وتركيبه البنيوي والمادي ، والعقلي مادة لها سواء أكان منفرداً ام مجتمعاً في كينونة البشرية مع ماتتصف به حياة الانسان من حيوية ووعي وغنى وما يكتنفها من غموض وتعقيد ووضوح حيث اخذت هذه العلوم ومنذ عصور بعيدة تشق طريقها وبمعزل عن بقية العلوم المختلفة وخصوصاً الفلسفة التي ظلت تحتكر وحتى زمن قريب كل المباحث لتي تتعلق بالانسان والمجتمع وحياته الشخصية لكن الحقيقة (الابستمولوجية) التي تعني (استقلالية العلوم الانسانية والاجتماعية عن الفلسفة) كانت مبكرة جداً حيث استقل كل علمٍ بذاته لذلك صنفت المعارف والعلوم ومنذ زمن بعيد وكما ارى، واستقلت وظهر لها مريدوها والعاملين بها وخاصة علوم اللغة المختلفة والتفسير للقران والحديث لقد استطاعت هذه العلوم ان تتمايز عن الفلسفة في احكام المنهج ودقة النتيجة ، لذلك فما من علم الا ويعرف اصحابه وممارسوه : ماهو وماهي موضوعاته ، اذن فمن لم يكن لديه تدرجاً ، بالفطرة والممارسة والاجتهاد عقل علمي او روح صحيحة فلا معنى من التفكير بالعلم ودراسة المناهج العلمية وتجربة البحث العلمي الرصين ، ينطبق هذا على العلم في فروعه المختلفة فما هي سمات الروح العلمية او العقل العلمي الذي يجب ان يتحلى به المشتغل في الحقل العلمي ؟

يتميز العقل العلمي او الروح العلمية بسمات او ميزات خمس رئيسة هي :

1- هو حرّ من كل تأثير او ضغط او قيد خارجي او داخلي . وهو مستقل يعرف الآراء الاخرى ، وآراء من سبقه ، يأخذها بعين الاعتبار ، لكنه غير خاضع لها ولا تلزمه بخلاصة او نتيجة هو يلتزم فقط بما يراه او مايفكر فيه .

2- هو عقلاني ، فحريته واستقلاليته لا يعنيان الفوضى ، ولا التمرد على الواقع والمنطق السليم بل هو خاضع لمقتضيات العقل والمنطق والحس السليم .

3- هو وضعي : من دون ان يعني الوضعي هنا المادي حصراً . ولو كان الامر كذلك لتوجب اخراج العلوم الانسانية والاجتماعية بعامة (علم النفس ، التربية ، التاريخ ، الفلسفة ، علم الاجتماع ، الانثروبولوجيا ، وسواها) من دائرة عمل العقل العلمي او الروح العلمية .

4- هو موضوعي : يرى ماهو موجود حقاً . وكما هو ، لا مايرغب في ان يراه او في الكيفية التي يريده عليها .

5- العقل العلمي هو عقل نقدي ، أي أن له وبعدما استغرق في الحيدة والموضوعية ما بقوله او يلاحظه او يشير اليه .[4]

ب- ما المعرفة

العلم هو الاستدلال الفكري ، اما المعرفة فهي العلم التلقائي ، وهي اوسع واشمل من العلم ، فهي تتضمن معارف علمية واخرى غير علمية ، والتميز بينهما يبنى على اساس قواعد المنهج واساليب التفكير التي تتبع في تحصيل المعارف ، فإذا أتبع الباحث قواعد المنهج العلمي وخطواته في التعرف على الظواهر والكشف عن الحقائق الموضوعية ، فإنه بالضرورة سيصل الى المعرفة العلمية .[5]

يقول (جوستاف جرونيباوم) : ((إن ثمة مجموعة أخرى من الاتجاهات الاساسية دخلت في طور الانسان المثالي ، وإن يك ذلك على مستوى اقل اهمية شيئاً ما ، اعظمها نفوذاً ذلك التقدير العظيم والتوقير العميق للمعرفة من حيث هي ، وبغض النظر عن واقع محتوياتها ، فإنها آية لا غنى عنها في الدلالة على الانسانية الحقة ، كما ان الجهالة أشد العيوب المشوهة لها)).[6]

وقد بين (زيمان)

عندما صاغ اصطلاحه المعروف وهو (المعرفة العامة) بأنه لكي تصبح المعرفة حقيقة او اكتشافاً ، ينبغي ان تدخل في نطاق الملكية العامة للبشر ، وان تصبح جزءاً من تراثها العام.

وقد اكد (زيمان) ايضاً خاصية المعرفة العلمية بوصفها المعرفة التي ينعقد بشأنها اتفاق عام في الرأي من حيث صيغتها ومنفعتها[7] ، يقول (فرنسيس بيكون) : في مقولته المشهورة ، لتي كثيراً ما يستشهد بها وهي : ((المعرفة هي القوة والوعي بالطاقة الكامنة في المفاهيم الجديدة للعلم))[8] .

التفكير العلمي وخصائصه

التفكير العلمي : هو كل دراسة تعتمد منهج الملاحظة الحسية والتجربة العملية ان كانت ممكنة ، وتتناول الظواهر الجزئية في عالم الحس ، وتستهدف وضع قوانين لتفسيرها بالكشف عن العلاقات التي تربط بينها وبين غيرها من الظواهر ، وصياغة هذه القوانين في رموز رياضية ، وذلك للسيطرة على الطبيعة والافادة من مواردها وتسخير ظواهرها لخدمة الانسان في حياته الدنيا ، وأهم خصائص التفكير العلمي هي :

1- الملاحظة الحسية كمصدر وحيد للحقائق : يراد بالملاحظة توجيه الذهن والحواس الى ظاهرة حسية ابتغاء الكشف عن خصائصها ، توصلاً الى كسب المعرفة الجديدة ، اما التجربة فهي ملاحظة مستثارة ، يتدخل الباحث في سيرها حتى يلاحظها في ظروف هيأها واعدها بإرادته تحقيقاً لأغراضه .

2- نزوح التفكير العلمي الحديث الى التكميم (القياس الكمي) فقد نقل التقدم العلمي الحديث مركز الاهتمام من الملاحظة الحسية الى تحويل الكيفيات الى كميات ، والتعبير عن وقائع الحس بأرقام عددية ، واصبحت الظواهر المشاهدة تترجم الى رسوم بيانية وجداول احصائية .

3- نزاهة الباحث : يراد بها اقصاء الذات أي تجرد الباحث عن الاهواء والميول والرغبات ، وإبعاد المصالح الذاتية والاختبارات الشخصية .

4- الموضوعية : اوجب الباحثون من الغربيين ((ان يتوخى العالم الموضوعية في كل بحث يتصدى له ، بمعنى ان يحرص على معرفة الوقائع كما هي في الواقع ، وليس كما تبدو في تمنياته ، ويقتضي هذا اقصاء الخبرة الذاتية لأن العلم قوامه وصف الاشياء ، وتقرير حالها ، ومحك الصواب في البحث العلمي هو التجربة))[9] والموضوعية تقتضي ان يكون((التعصب والحكم المسبق هما نقيض الحرية والتسامح ، فإذا ما ازداد التعصب فقلصت الحرية، ولا قيمة لأي بحث ان لم يكن بحثاً موضوعياً متحرراً من أي قيد ومنزهاً عن أي غرض .))[10] .

5- الرغبة : هي الشرط الاساس للنجاح في أي عمل ، ولانتصور عاملاً يبرع في مهنته ، وهو لا يرغبها ، فإذا فرض البحث على الباحث ، شعر انه كالمضطهد ، وضاق ذرعاً به من اول صعوبة تعترضه ، وما اصدق المثل الانجليزي القائل : (تستطيع ان تأخذ الفرس الى النبع ، ولكنك لا تستطيع ان تجبرها على الشرب) . والبحث الذي دافعه الضغط، او أي سبب خارجي كـ : (إرضاء الاستاذ ، او الشهادة ، او الدرجة العلمية) قد يتوقف ، او يزول بزوال السبب أما البحث القائم على السبب داخلي اساسه حب الحقيقة والمتعة في الاكتشاف ، فيؤتي ثماراً جيدة [11].

المبحث الثاني

خصائص البحث

البحث research هو معرفة الحقيقة وتقصيها ونشرها بين الناس ، وهو يختلف تبعاً لتلك الحقيقة ، سواءاً أكانت علمية ، أم ادبية ، أم فنية ، ام في أي مجال آخر ، ويدخل في هذا المعنى الشمول فيما يتصل بالفكر البشري وعاطفته وخياله دون ان يمنع هذا الشمول في القصد ان يرى باحث بارع عناصر الانسانية بمعناها الواسع خلال موضوع محلي يبدو ضيقاً جداً .

ومن هنا يلتقي الباحثون من كل صنف : الفلاسفة ، والعلماء ، والنقاد ودارسو الادب ، والعلم ، ولعل تعريف البحث اسهل من تعريف العلم وعلى الرغم من ذلك لم يقدم المختصون في مجال البحث تعريفاً واحداً له ، لأن كلمة (بحث) لا يحدها حد فهي متعددة الوجوه متسمة بالمرونة شبيهةٌ (بالعقل) تدخل في كل نشاط ، وهي ترتبط بروابط ظاهرية فيما بينها ، هي على صلة وثيقة في كل مجالات العلم وخطوطه ان لم نقل انها هيكلة الرئيس الذي يبنى عليه مكوناته وفروعه ، واستعمال كلمة بحث يوحي بتعدد مجالاتها وتعدد استعمالاتها وإن توجيه جميع التعاريف والاستعمالات السارية فيما يتعلق بكلمة (بحث) أمر يتجاوزه الحيز المتاح وان الفعل (RESEARCH) يفيد البحث او يفحص الشيء ثانية بعناية ، اما كلمة (بَحْث) كإسم فهو التقصي بعناية ، وبخاصة الاستقصاء المنهجي في سبيل زيادة مجموع المعرفة الذي يزداد بإضافة معرفة جديدة [12].

البحث لغة هو ((طلبك الشيء في التراب، او ان تسأل عن شيء وتستخْبِر)) . [13]

أما اصطلاحاً : ((فهو إثبات النسبة إيجابية او سلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال))[14]، لقد تعددت معاني البحث بالمصطلح العلمي فهو : ((تقرير واف يقدمه باحث عن عمل أتمه وانجزه ، بحيث يشمل هذا التقرير كل مراحل الدراسة منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج معروفة ، مدعمة بالحجج والاسانيد ،او يمكن تعريفه بانه : التنقيب عن حقيقة ابتغاء إعلانها دون التقيد بدوافع الباحث الشخصية ، او الذاتية الا بمقدار ما يفيد في تلوين البحث بطابع الباحث وتفكيره ويعطيه روحه التي تميزه عن غيره ، او هو محاولة صادقة لأكتشاف الحقيقة بطريقة منهجية وعرضها بعد تقصٍ دقيق ، ونقد عميق ، عرضاً ينم عن ذكاءٍ وفهم ، حتى يستطيع الباحث ان يقدم للمعرفة لبنة جديدة ويسهم في تقدم الانسانية))[15] ، وللاستاذ فاخر عاقل تعريف يقول فيه : ((البحث العلمي هو البحث النظامي والمضبوط الخبري (Empirical) في المقولات الافتراضية عن العلاقات المتصورة بين الحوادث الطبيعية))[16] ، ويمكن القول بأن البحث : ((استقصاء منظم يهدف الى اضافة معارف يمكن توصيلها والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي))[17] ، فالبحث العملي اذن هو : ((نتاج اجراءات منظمة ومصممة بدقة من أجل الحصول على انواع المعرفة والتعامل معها بموضوعية وشمولية ، وتطويرها بما يتناسب مع مضمون واتجاهات المستجدات البيئية الحالية، و المستقبلية [18] ، وفي آخر هذه التعاريف لا بد من القول بأن البحث العلمي منظم ومتقن واختباري أي ان يكون موضع اختبار مما يجعل الباحث مجبر على التزام الدقة والصحة والموضوعية في كل ما يتوصل اليه من نتائج .[19]

أما اهم مرتكزات خصائص البحث :

1- الموضوعية : من اهم خصائص البحث اذ على البحث ان يبتعد بقوة عن الاهواء والميول ويتمسك بالموضوعية العلمية والاخلاقية التي تبعده عن الكذب والانتحال وان يكون همه منصباً على نقل الحقائق كما هي والسعي لأبراز الحقيقة بكل قوة وان يبتعد عن الذاتية والانانية الشخصية .

2- التكرار والتعميم : السعي للوصول الى الخصائص العامة في العلوم واهم القواسم المشتركة بين العلوم لأبرازها واظهارها للاستفادة منها وتناولها بشكل موضوعي ، وان تكون تجارب البحوث قابلة للتداول بين الباحثين لكي تكون المعرفة متداولة حتى تعم الفائدة بين الجميع على ان يتم اتباع المنهج العلمي نفسه وخطوات البحث نفسها في ظروف موضوعية وشكلية متشابهة ،

والتعميم نوعان ، وهو إما بما يتيح تصنيف الاشياء والعلاقات القائمة فيما بينها ، وأما ان يكون التعميم والتكرار مستقلين تماماً عن الزمن والمكان والفرد الملاحظ .

3- الخصائص والتصنيف والمقصود بالخصائص : هي الاشياء المركبة من الملاحظات السابقة وهي ما تتصل دائماً بالخصائص النوعية للاشياء اكثر من صفاتها الكمية ، اما التصنيف فهو اضفاء المنهجية الواعية على نزعة الجدولة والتعميم وهو يتراوح بين التصنيف بين العناصر المكونة للاشياء والتصنيف العملي (المنهجي) الى التصنيف المستحيل مثل تصنيف السلوك الانساني .

4- بيان الاختلافات والضوابط : على الباحث ان يحاول بيان الاختلافات القائمة بين الاشياء ، وقد تكون هذه الاختلافات نوعية او كمية ، ويتطلب قياس الاختلافات اولاً وجود آلة القياس والتقدير الكمي الفعلي لهذه الاختلافات ، وثانياً توافر معايير مشهود بدقتها ، وتوضح المعايير التفاعل بين الاتقان والنظرية والحاجة الاجتماعية .

5- اليقين والمقصود به الاستناد على الحقائق العلمية الاكيدة والمجربة بالادلة الموضوعية المقنعة ، وهي مرتبطة بالتعميم واليقين العلمي المستند الى أدلة محسوسة وغير محسوسة، لأن الحقيقة العلمية نسبية لا مطلقة ، تتبدل وتتغير اثناء تطورها ، لكنها حقيقة موثوقة .

6- تراكم المعرفة : وهي مايجمعه الباحث من معارف اتت ممن سبقوه في مجاله واختصاصه من الباحثين فيكمل الخطوات الصحيحة ويوسع نطاق بحثه ، حيث يبدأ مما أنتهى اليه الاخرون حيث ترفع المعرفة والحقيقة العلمية بالاتجاه الصحي الاعلى حيث يبنى العلم درجة فوق اخرى ، لأن الحقيقة العلمية نسبية ترتبط بفترة زمنية معينة ، تتطور ولا تقف عند حدٍ معين ، ولا ترتبط بباحث معين .لأنها ليست ذاتية بل موضوعية تفرض نفسها على كل العقول .

7- البحث عن الاسباب : هذه الفقرة تدعو الباحث الى العمل الدقيق والتنقيب لمعرفة الظواهر المدروسة واسبابها لكي يتعرف على كل ظاهرة للسيطرة عليها وتسخيرها لخدمة العلم لأن هناك ظواهر تكون اسبابها عديدة على الباحث التنقيب والتنقير خلف كل سبب للوصول الى الاحاطة والالمام بالظاهرة التي يرغب بدراستها والوصول الى نتائج علمية دقيقة تؤكد نجاح البحث وتعطي النتيجة المرجوة منه.[20]

8- التجريد والقياس الكمي او التكميم (Quantification): وهي ميزة يمتاز بها التفكير العلمي عن انماط التفكر الاخرى وذلك بأن يخطط بدقة للمشكلات ويضع لغة الرياضيات اساساً وهي

لغة تقوم على اسس القياس المنظم حيث تخرج لنا فهماً دقيقاً مضمون النتائج للظواهر العلمية فالاعتباطية في الاحكام تعطي نتائج غير صحيحة او على الاقل غير دقيقة.

9- التنظيم : للتفكير العلمي منهجٌ معين في طرح المشكلات ووضع الفروض والبراهين لها يمتاز بالدقة والتنظيم وهو خط وطريق العلم فالمنهجية تبدأ بالملاحظة وتثني بالخطة وتنتهي بالنتائج الصحيحة ، فالباحث العلمي يدرس كل ظاهرة ومدى صلتها بالظواهر الاخرى فالعقل العلمي هو الذي يضع النظام ويقيم العلاقات المنظمة بين الظواهر المختلفة.

10 – الدقة : من اهم سمات البحث العلمي وهي مايقرب النتائج الى حد التطابق مع الغرض المطلوب وتتضمن جميع السمات السابقة إبتداءً من التفكير في العمل العلمي حتى الوصول الى النتائج ، لان تحديد المشكلة ، والقيام بالاجراءات ، وبيان النتائج ، واحتمال الوصول اليها ، والتعميم كل ذلك يجب ان يتم بدقة لهذا نعطي هذه السمة صفة الشمول لكل مايقوله الباحث او يدونه او يتوصل اليه من خلال بحثه [21]

المبحث الثالث

منهجية البحث

أولاً: معنى المنهج : للمنهج مجموعة تعاريف كلٌ ينظرها من زاويته لذلك : فالمنهج هو الطريقة لتي تتبع للقيام ببحث في أي مجال من مجالات المعرفة أي السبل التي يتبعها الذهن الانساني للوصول الى الحقيقة .

او هو : مجموعة القواعد التي يجب ان يلتزمها التفكير في محاولته للوصول الى المعرفة .

ويمكننا ان نضيف تعريفاً آخر هو : ((فن ترتيب الافكار ترتيباً دقيقاً يسمح بكشف حقيقة مجهولة او البرهنة على صحة حقيقة معلومة))[22]

ثانياً انواع المناهج

1- المنهج العقلي او (المناهج العقلية) Rational Methods وهذا التوصيف لا يعني ان ما يندرج تحته كل المناهج العقلية وان ما عداه من مناهج لا يستعمل العقل بل المقصود بكونه Rational اعتماده على اعمال الذهن ، والارتكاز الى التامل على تفاوت في الدرجة فيما بين عناصره وتستعمل العلوم التاملية في هذا النوع من المناهج ، وقد قدمت لنا الفلسفة مجموعة من الاساليب المنهجية في اطار ما يسمى ((مناهج البحث الفلسفي))هي :

- المنهج التحليلي السقراطي ، ويعتمد على طرح الاسئلة وتصنيف الاجابات ويهدف الى التوصل الى الماهيات .
- المنهج التركيبي : قال به افلاطون وارسطو ومفكرو العصور الوسطى ، ويتضمن عرضاً برهانياً للعلاقة العلية بين الفكر والوجود .
- منهج التنسك : ويعني بممارسة التطهر على المستويين الاخلاقي والذهني ، ويؤدي الى استنارة العقل ، نادى به افلاطون واوغسطين وبعض المتصوفة
- المنهج النفسي : ويعني بالبحث في اصول الافكار ، استعمله (ديكارت) وأتباعه ، كما استعمله التجريبيون الانجليز .
- المنهج النقدي (الترانسندنتالي): قال به (كانت) ويهتم بتحليل شروط قيام المعرفة وحدودها .

المنهج الجدلي : ويتأسس على لتسليم بفكرة ، ثم التسليم بنقيضها ، والتسليم ثالثاً بالمركب بينهما . وقد اقام هذا المنهج اصحاب المنهج الهيجلي والقائلين بالمادية الجدلية .

- المنهج الحدسي : وقل به (برجسون) وينادي بالادراك المباشر للواقع عندما يمتزج الشعور بعملية التغير والصيرورة إمتزاجاً تاماً .
- منهج التدبر والاستبطان (الميتافيزيقي) ، ويهدف الى إنماء الحقائق والقيم الكامنة بالانسان، حتى تصل به الى الله .
- منهج الاصطفاء : وهو منهج نقدي تاريخي ويعنى بالانتخاب المقصود والفعال ، وقال (شيشرون) و(سواريز) و(كوزان)
- المنهج الوضعي كما هو عند (كونت) و(سبنسر) والتجريبيين المناطقة ، ويحاول ان يطبق الاجراءات الدقيقة للعلوم الوضعية على الفلسفة .

ان المناهج التي ذكرت آنفاً هي مجموعة تفرعات تدخل في اطار منهجٍ واحد هو المنهج العقلي (Mental Method) .

2- المنهج البديهي (الاستنباطي) The Axoimatic Method

ويستخدم في العلوم النظرية والرياضيات من بينها على وجه الخصوص .

ويستند الاستنباط الى مجموعة من الحدود الاولية والتعريفات والبديهيات ، وينتقل منها – في اطار مجموعة من قواعد الاشتقاق الصارمة – الى ما يترتب عنها من نتائج او نظريات . تتعلق التعريفات بتصورات خاصة بكل عالم ، ففي الهندسة نعني بتحديد معاني حدود كالنقطة والخط ،

وفي علم الحساب نعني بتحديد معاني كالعدد الصحيح والاضافة والنقصان ...الخ أما البديهيات فهي قضايا واضحة بذاتها لا يبرهن عليها ، ولها خواص ثلاث [23] هي : الوضوح النفسي ، والاولية المنطقية ، والصورية . أما المصادرات فإننا نسلم بها رغم انها ليست واضحة وضوح البديهات وان كنا نستنتج منها نتائج دون الوقوع في ناقض تشكل مجموعة التصورات السابقة النسق الاستنباطي الذي ان اتسم بضرورة تربط بين مقدماته ونتائجه ، الا انه لا يتسم بالعمومية ، حيث لا يتحتم على العلم (الرياضيات مثلاً) ان يكون له نسق استنباطي بذاته لا يتغير ، بل يمكن ان تتعدد الانساق داخل العلم الواحد ، تعدد مجموعة الافتراضات الاولية التي ينطلق منها ، ولابد للنسق في هذه الحالة ان تتوفر فيه شروط منها : استقلال مقدماته وبساطتها ، بالاضافة الى كفاية عناصره المكونة للبرهنة على قضايا العلم موضوع البحث وعدم انطوائه على تناقض داخلي .

3- المنهج الاستقرائي The Inductive Method :

وهو منهج البحث في العلوم التجريبية كالطبيعة والكيمياء والاحياء كما تستعمله بعض العلوم الانسانية كالتاريخ والنفس والاجتماع ويهدف الى الكشف عن اطراد الظواهر وانطوائها تحت قوانين بعينها ويستلزم هذا المنهج تطبيقاً دقيقاً واعياً لمجموعة من الخطوات والاجراءات فهي : الملاحظة وادواتها المختلفة وتصنيف المشاهدات في ضوء التحليل والمقارنة ، ثم اختبار الوقائع المتشابهة ووضع فروق تدور حول تعيين العلة او القانون ، والتحقق باستعمال القواعد التجريبية . والاستنباط وما يتعلق به من برهان وتفسير وترتيب النتائج وصيغة القانون العلمي او تكوين النظرية المناسبة لأي قضية .

ان هذه المراحل والخطوات الاستقرائية تنطوي على الاعتقاد بمباديء مثل مبدأ اطراد الحوادث في الطبيعة ، ومبدأ العلية ، والتي من الممكن ان تخضع لتقويم فلسفة العلم ومناقشتها ، كما تخضع للتقويم نفسه ادوات منهجية اخرى مثل الملاحظة طبيعتها وتأثرها بالنظريات السابقة التي يعتقد بها الباحث والفروض وشروط تكوينها بصورة علمية ، ومشكلة الاستقراء والحلول المتاحة لها ، كما إن موقف العلماء المعاصرين من مراحل الاستقراء ، واهميته كمنهج ، يكشف الى حدٍ بعيد مدى ما يمكن ان تسهم به فلسفة العلم في تطوير المنهج.

4- المنهج الوصفي The Descriptive Method

وتستخدمه العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، ويعتمد على الملاحظة بانواعها بالاضافة الى عمليات التصنيف والاحصاء مع بيان وتفسير تلك العمليات . ويعد المنهج الوصفي اكثر مناهج البحث ملائمة للواقع الاجتماعي كسبيل لفهم ظواهره واستخلاص سماته . ويأتي على مرحلتين[24]

الاولى : مرحلة الاستكشاف والصياغة التي تحتوي بدورها على ثلاث خطوات هي تلخيص تراث العلوم الاجتماعية فيما يتعلق بموضوع البحث ، والاستناد الى ذوي الخبرة العلمية والعملية بموضوع الدراسة ثم تحليل بعض الحالات التي تزيد من استبصارنا بالمشكلة والقاء الضوء عليها .

الثانية : مرحلة التشخيص والوصف وذلك بتوجيه البيانات والمعلومات التي تم جمعها توجيهاً يؤدي الى اكتشاف العلاقة بين المتغيرات وتقديم تفسير ملائم لها.

5- المنهج التاريخي The Historical Method :

وهو منهج تعول عليه العلوم التي تدرس الماضي بسجلاته ووثائقه ويعتمد هذا المنهج على الجمع والانتقاء والتصنيف وتأويل الوقائع . ومن ثم كان العمل الاول للمؤرخ هو الاهتداء الى الواقعةالتي اختفت في الماضي والتثبت منها ، اذ انها نقطة البدء في المنهج التاريخي نتعقبها في الوثيقة وتناول الوثائق بالدراسة والتحليل عمل نقدي بالدرجة الاولى ، وللنقد التاريخي مرحلتان.[25]

الاولى : التثبت من صحة الوثيقة والاستعانة بمجموعة من العلوم المساعدة .

الثانية : التثبت من الواقعة في اطار نقد وثائق لا ارادية تدور حولها .

اما العمل الثاني للمؤرخ فهو عملية التركيب التاريخي حين ندمج الوقائع في مجموع حضاري شامل يدور في نفس الوقت في سياق زمني واحد .

وهنا يثير التأريخ والعمل بالمنهج التاريخي نقاشاً حول بعض التصورات التي تهتم بها فلسفة العالم مثل : فكرة اتصال التاريخ ، منطق التاريخ ، الفهم والتفسير لما بين الوقائع من وجوه للشبه او الاختلاف ، والسبب والنتيجة ، والحتمية التاريخية ، ومدى تحقق الموضوعية في دراسة التاريخ ، ووضعية التاريخ .

6- المنهج النفسي The psychological Method :

وتستعمله كل العلوم التي تجعل من السلوك الانساني وتطوره موضوعاً لها .

ولا يعتمد المنهج هنا على (التحليل) الاستنباطي وحده وانما يستند الى اجراء التجارب[26] ودراسات علم النفس وفروعه تندرج تحت ما يسمى بعلم لنفس التجريبي الذي ادخل مناهج الملاحظة المدعمة بالالات العلمية كما تمارسها العلوم الطبيعية كما تكتمل صورة المنهج النفسي بالاشارة الى المنهج المقارن – بالاضافة الى المنهج التجريبي – الذي يقوم بمقارنات ، اما بين نماذج مختلفة من الافراد ، او بين افراد ينتمون الى مجتمعات او حضارات متباينة .[27]

وتميل المناهج النفسية الى تقصي الاسباب التي تقف وراء الظواهر النفسية ، وتسلم بالحتمية حتى تصبح مناهج علمية من الوجهة العلمية ، وان كانت الحتمية لا تظهر في السلوك الانساني الا اذا غلبت عليه الالية وكنا نقيس ظواهر ذات اساس فسيولوجي ، اما الانسان الحر الارادة المتحرر من الشروط الفسيولوجية والاجتماعية فإنه لا ينطوي تحت مقولة الحتمية ، وهنا تنشأ الحاجة لفلسفة العلوم لتناقش الحتمية ، والسببية ، والحرية ...الخ. [28]

7- الابستمولوجيا :

هي الدراسة النقدية للعلوم الدقيقة والانسانية ، وهي دراسة تكوين المعرفة العلمية وظروفها، لذلك تهتم بدراسة تاريخ ومناهج ومباديء العلم ، اذ تدرس المعرفة بالتفصيل ، وبتنوع العلوم والموضوعات [29] .

8- الابستمولجيا الانعكاسية :

وهي البدائل المطروحة اليوم لتوجيه مسيرة البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية وامثالها، وتدعي انها تعددية وغير عقائدية ، وانها اصبحت ضرورية ازاء التعقد القائم في الظواهر الاجتماعية ، حيث تتبنى التفسير العلمي في ميادين محدودة مكانياً وزمانياً . وتشير الى الاستدارية المعرفية غير الكاملة في خطاب العلم.[30]

9- البحث الامبيريكي (التحليلي في العلوم الطبيعية)

ان هذا البحث يجري من اجل توليد العلم والمعرفة ومختلف التطبيقات والنتائج التي تستل منهما بطريقة علمية وهي : حزمة من الاجراءات الاساسية التي يقوم بها العلماء لتحويل النوادر والاحساسات الباطنية والوقائع الخام الى معرفة منهجية نظامية وفضلاً عن الملاحظة ،وتشتمل تلك الاجراءات على التجربة المضبوطة وصياغة الفرضيات واختبارها ، وبناء النماذج الرياضية وعند هذا الحد يجب التأكيد على ان القياس الذي تستعمله الطريقة العلمية يجب ان يكون صحيحاً وثابتاً وملائماً وإلا فسد [31] ، احد الاسس الجوهرية التي تقوم عليها الطريقة العلمية ، ولابد من

فهم قيمة الطريقة الامبيريكية ، ونستعين بها ما امكن في مواضعها، اذ انها تحسم النجاح عن طريق اظهار الوقائع الثابتة كما يحصل مثلاً في تجارب الطيران[32] وغير ذلك[33].

منهجية البحث في المقتضب

لاتختلف منهجية المبرد عن المنهجيات الحديثة وان ركزت هذه المنهجيات على البحوث العلمية والنفسية والاجتماعية ولم تأخذ المنهجيات النحوية واللغوية ذلك المأخذ من الباحثين عند دراسة المناهج المختلفة الاخرى منفردةً لأنها ركزت على روح المادة ذاتها متأثرة بالمناهج الغربية في ترتيبها للبحوث وقد اختلفت نسبياً عما جاء عن الاقدمين ، يميل منهج المبرد الى المنهج الابستمولوجي اكثر من ميله الى أي منهج آخر حيث يسعى هذا المنهج الى الدراسة النقدية للعلوم الدقيقة والانسانية وهي دراسة تكوين المعرفة العلمية وظروفها ودراستها كحقيقة واقعة لذلك تهتم بدراسة تاريخ ومباديء ومناهج العلم فهي تدرس المعرفة الاجتماعية المدونة بالتفصيل وبتنوع العلوم والموضوعات قديماً وما هو مناسب لعصره [34] لقد قدمت كتب المنهج التي اجهدت نفسي بالحصول عليها وصفاً عاماً للمنهجية دون ذكر تفاصيل الاعمال الكتابية وتوضيح نموذجٍ مصغر لأي بحث كان ، ومن المعروف عن التقسيم الحديث لأي بحثٍ كان هو التقسيم على وفق حجم البحث ، فلو كان البحث كبيراً قسم على ابواب ثم فصول ثم مباحث او اقسام ، وهذا هو المعروف في تقسيم البحوث لكن المبرد قد سلك مسلكاً سهلاً وبسيطاً حيث قسم البحث على ابواب دون التمييز بين حجم كل باب مع بقية الابواب الاخرى ، والمهم في المقتضب هو ما يتناوله الباب والملاحظة الواضحة الاخرى هي ان المقتضب لم يعط لعدد الصفحات وزناً في تقسيمه حيث يطلق الابواب دون ترقيم وعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في المقتضب في اول باب ((هذا باب من مسائل الفاعل والمفعول)) [35] وقد استغرق هذا الباب تسع صفحات ، وكانت آخر باب فيه هي : ((هذا باب ما حذف من المستثنى تخفيفاً)) [36] وقد استغرق هذا الباب مع العنوان اربعة اسطر لذلك فالتناسب الذي تطلبه البحوث الحديثة كما هو سائد غير موجود في المقتضب ومن الملاحظات الجديرة بالذكر هي الخلط بالتصنيف . فالمقتضب يخلط بين الموضوعات النحوية والموضوعات الصرفية ، والموضوعات الدلالية ، ويداخل بين موضوعٍ وآخر كما معروف في التبويب الحديث .

لقد قسم المبرد المقتضب على اربعة اجزاء تضمن الجزء الاول واحداً وستين باباً كانت في اغلبها موضوعات صرفية مع بعض الموضوعات النحوية ، اما الجزء الثاني فقد تضمن اثنين

وتسعين باباً كان عكس الجزء الاول حيث غلبت فيه الموضوعات النحوية وقلت الموضوعات الصرفية ، وتضمن الجزء الثالث خمسة وتسعين باباً غلبت عليها الموضوعات النحوية على غيرها ، اما الجزء الرابع والاخير فقد تضمن تسعة وسبعين باباً ومجموع الفهارس اختلطت فيه الموضوعات النحوية بالموضوعات الدلالية ، ومن الموضوعات النحوية التي ذكرت : اقسام الكلام ، وجمع المذكر السالم ، والاسماء الستة والنكرة والمعرفة ، والضمائر ...الخ ، اما الموضوعات الصرفية فمنها على سبيل المثال ماجاء من الكلم على حرفين ، وما كان فاؤه واواً ، وما اعتلت عينه مما لامه همزة ...الخ ، والموضوعات الدلالية ومنها على سبيل المثال لا الحصر : التسمية والتغليب ، واللفظ بالحرف ... الخ وفي كل الاحوال فإن هذه المنهجية مهما كانت لا تقلل من قيمة هذا السفر النفيس ، الذي يمثل جهداً جباراً قدمه المبرد مقدماً فيه خدمة كبيرة للغة النص المبجل حيث ان النحاة الاوائل كانوا يعملون بالاجتهاد الشخصي والابتكار الذاتي دون توجيهٍ من احد .

الخاتمة والنتائج

الخاتمة

بعد هذه الجولة مع كتب البحث المختلفه لقد وجدتها تصب في مجرى واحد ويقتبس الواحد منها من الاخر ان لم يغلب الاقتباس من مصادر البحث الاوربية المختلفة حيث كانت هذه الكتب هي المنبع الذي دارت روافده في كتبنا البحثية وكان الافضل لو خلقت منهجية بحثية خاصة لمجالنا البحثي تضاهى ما يأتي به الاجانب والذي يتهافت عليه الباحثون العرب وكأنه قرآن جديد أنزله الله في غير وطن العرب وعلى الناس الاهتمام به والسير على خطاه .

النتائج

بعد دراسة كتاب المقتضب من أجل رسم خارطة ذهنية عن الكتاب المذكور وجدت ان منهجية الكتاب منهجية بسيطة غير متكلفة غرض الكتاب منها ايصال المادة النحوية والصرفية والدلالية لكل الناس .

اعتمد المبرد لأيصال مادته على اسلوب تسمية عنوان الموضوع بالباب ليس غير دون اللجوء الى تفريع العلم فيها كما معمول به الآن فهم المبرد الاول والاخير نشر المعرفة وتيسيرها لكل مهتم باللغة العربية لذلك عرض مادة المقتضب بأسهل اسلوب وأيسر طريقة .

هوامش البحث

1- القراءتان سبعيتان النشر 211/2.
2- ينظر انباه الرواة 241/3، ووفيات الاعيان 313/4 وبغية الوعاة 231/1 .
3- ينظر المدخل الى مناهج البحث العلمي 21 .
4- ينظر مناهج التفكير وقواعد البحث 33، 34.
5- ينظر البحث العلمي اساسياته النظرية وممارساته العملية 24 .
6- حضارة الاسلام 298.
7- Science and Scientific Research in modern society 53.
8- المرجع نفسه 204.
9- البحث العلمي اساسياته وممارساته العملية 32 .
10- عدة الباحث في شتى المباحث 22.
11- كيف تكتب بحثاً او منهجية البحث 22 .
12- ينظر منهج البحث الادبي 21، والبحث العلمي اساسياته النظرية وممارسته العلمية 66-67 .
13- لسان العرب بحث . 115/2
14- التعريفات 24.
15- منهج البحث الادبي في اعداد الرسائل الجامعية 12.
16- اسس البحث العلمي 26.
17-البحث العلمي اساسياته النظرية وممارسته العلمية 68 .
18- ينظر
Elements of Research p . 18 and , social work Research p. 2 .
19- ينظر البحث العلمي اساسياته النظرية وممارسته العلمية 69 .
20- ينظر البحث العلمي في خصائص لتفكير العلمي 48-55 .
21- ينظر البحث العلمي اساسياته النظرية وممارسته العلمية 72- 73.
22- منهجية البحث الجامعي 17-18 .
23- تنظر الموسوعة الفلسفية العربية 64- 65.
24- ينظر علم الاجتماع والمنهج العلمي 186 .
25- ينظر المنطق وفلسفة لعلوم 256-267 .
26- ينظر
Runes , op . 197 .
27- ينظر المنطق وفلسفة العلوم 252-254 .
28- المدخل الى مناهج البحث العلمية 60-62 .
29- البحث العلمي في العلوم الاجتماعية 29 .
30- البحث العلمي بنماذجه الاساسية 41.
31- ينظر
Quantitive Science and th Definition of Measurement in psychology . 355 .
32- ينظر
Introducting and Teaching Much –Needed under standing of the Scientific process , 849 .
33- ينظر البحث العلمي بنماذجه الاساسية ، 102- 104 .
34-البحث العلمي في العلوم الاجتماعية 29.
35- المقتضب 151/1
36- نفسه 4/ 429

مصادر ومراجع البحث

القران الكريم :

1- اسس البحث العلمي في العلوم السلوكية ، فاخر عاقل ، دار العلم للملايين بيروت ،ط2، 1982م .

2- انباه الرواة على انباه النحاة تاليف جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطى (ت646هـ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ط1426،2هـ - 2005 م .

3- البحث العلمي اساسياته النظرية وممارسته العملية ، الدكتورة رجاء وحيد دويدري ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر دمشق، ط4 ، 1429هـ- 2008 م .

4- البحث العلمي في خصائص التفكير العلمي ، ذوقان عبيدات وآخرون ، دار الفكر عمان ، 1989 م .

5- البحث العلمي في العلوم الاجتماعية ، عبد الله ابراهيم ، الناشر المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2008م ، المكتبة العصرية بيروت، ط1 ، 1427 هـ - 2006م.

6- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

7- التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني ، دار السرور ، بيروت ، د . ت

8- حضارة الاسلام : جوستاف جرونيباوم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، دار مصر للطباعة ، 1956 .

9- عدة الباحث في شتى المباحث ، الدكتور حسن عاصي ، دار المواسم، ط1 ، 143هـ - 2011 م .

10- علم الاجتماع والمنهج العلمي دراسة في طرائق البحث واساليبه ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ط2 ، 1981 م .

11- كيف تكتب بحثاً او منهجية البحث ، الدكتور إميل يعقوب جروس برس ، بلا مكان ولا تاريخ طبع .

12- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، دار الفكر ، بيروت، ط6 ، 1417 هـ - 1997 م .

13- المدخل الى مناهج البحث العلمي ، دكتور محمد محمد قاسم ، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1999م .

14- مناهج التفكير وقواعد البحث في العلوم الانسانية والاجتماعية الدكتور محمد شيا ، بيروت، ط2، 1429 هـ - 2008 م .

15- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، 1415 هـ- 1994 م .

16- المنطق وفلسفة العلوم ، بول موي ، ترجمة فؤاد زكريا ، النهضة المصرية ، القاهرة، ط2 ، 1974م .

17- منهج البحث الادبي في اعداد الرسائل الجامعية ، جودة الركابي ، دار مماز دمشق ، 1413 هـ- 1992 م .

18- منهج البحث الادبي الدكتور علي جواد الطاهر ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1970 م .

19- منهجية البحث العلمي ، الدكتور سعيد يوسف البستاني ، مؤسسة نوفل ، بيروت، ط1 ، 1989 .

20- الموسوعة الفلسفية العربية اشراف معن زيادة ، معهد الانماء العربي بيروت ، 1986 م .

21- النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بأبن الجزري (ت 833هـ) قدم له علي محمد الضباع وخرج اياته زكريا عمدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2 ، 1423 هـ - 2002م .

22- وفيات الاعيان وانباء ابناء ، لأبي العباس احمد بن محمد بن ابي بكر ابن خلكان (ت681هـ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر بيروت، ط5 ، 2009 م .

المراجع الأجنبية

1-Dictionaryof philosophy, Runes E.d, London 1944.

2- Elements of Research , whitney New York , 1946.

3- Introducting and Teaching Much – needed understanding of the Scientific process , Miller , N. E , American psychologist , 1992 .

4- Quantitive Science and Definition of Measurement in psychology , Michell , J , British Journal of Psychology , 1997 .

5- Science and Scientific Researches in modern society , Dickinson , J.P. second edition , 1986 .

6- Social work Research , Polansky , N, New York , A free press , 1963 .